المستوي: السنة أولى ماستر **التخصص:** تاريخ و حضارة بلاد المغرب القديم

السنة الجامعية:2024 / 2025 **السداسي السابع**

المقياس: الحضارة الليبية- البونية **أستاذ المقياس:** محفوظ خالد

المحاضرة رقم 04: قراءة في مصطلح البوني أو "البونيقي"

أصل مصطلح بونيقي:

ارتبط هذا المصطلح في جزئية منه بالفينيقيين اللذين استقروا في الحوض الغربي للمتوسط، وكان متأخرا نوعا ما عن تأسيس المستوطنات الفينيقية الباكرة، و الحقيقة أن ذلك راجع إلى عدة تطورات و تحولات عاشها هؤلاء المشرقيون في العالم الغربي.

* **فينيقيون أم قرطاجيون أم كنعانيون؟:** للإجابة على هذا التساؤل يجب تناول إشكالية التسمية بين الأصل الكنعاني و النعت الأجنبي و ذلك من خلال تناول تاريخ الفينيقيين في الغرب.

- أشار القديس أوغيسطينوس (354 م- 430 م) في الرسالة رقم 13 بأنه كان يتصادف في أرياف بونة (عنابة) سكان يتحدثون إليه بالبونيقية ويقدمون أنفسهم على أنهم كنعانيون، و أنهم لا يستعملون عبارة الفينيقيون، هذه الشهادة التاريخية دفعت بالكثير من المهتمين للتساؤل عن سر استعمال مصطلح كنعاني من طرف القرطاجيين، و كيف بقي استعماله حتى القرن الرابع للميلاد في منطقة جد "مرومنة" (مقاطعة البروقنصلية) ؟

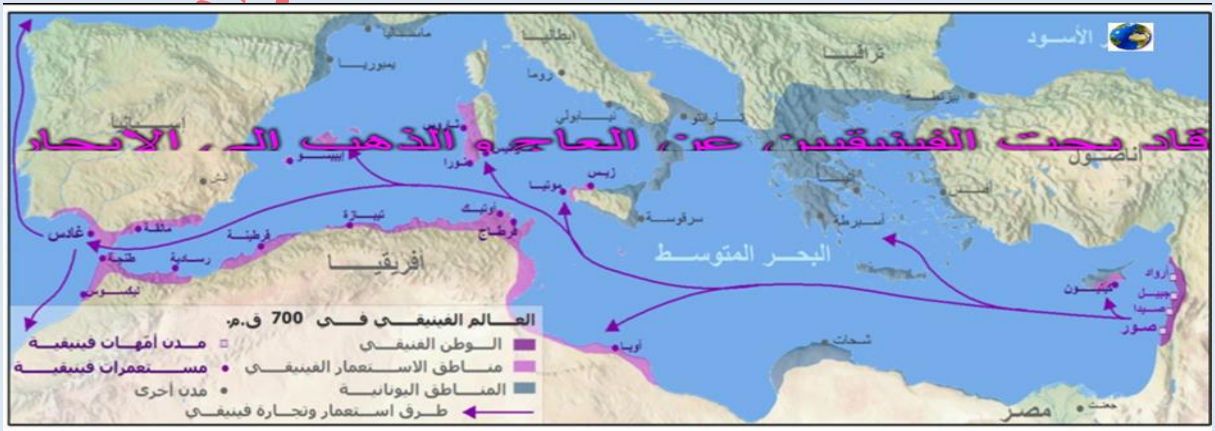

مسار الفينيقيين نحو غرب المتوسط

الإجابة على هذه التساؤلات يجب العودة إلى أصل المصطلحات - التسميات، بدايةً بكلمة كنعاني التي ارتبطت بالأرض الأم، و المقصود بها الساحل الفينيقي، إذ وردت كلمة كنعان للدلالة على الوطن والسكان، حيث وجدت في الكثير من النقائش، كما ذُكرت بنوع من التفصيل في التورات (العهد القديم)، إذ يتطرق السفر 10- 19 من كتاب التكوين إلى الإطار الجغرافي لبلاد كنعان حيث يشمل السهل اللبناني إلى غاية جبل طور جنوبا و إلى الأردن شرقا، و حسب اعتقاد أحبار اليهود فإن جزء كبير من الأرض التي استوطنها الكنعانيون حق الإسرائيليين تحت شعار "الأرض الموعودة" و لذلك دخلوا في حروب مع هؤلاء الكنعانيين، حتى إجبار جزء منهم للفرار نحو البحر غربا، وهي الحادثة التي أشار إليها بروكوبيوس خلال حديثه عن أصل سكان بلاد المغرب بالقول بهجرة فينيقية هربت بسبب الضغط اليهودي، كما ذكرت كلمة كنعان في مواقع كثيرة للدلالة عن الفينيقيين و خصوصا في المدن الشامية، أما في بلاد المغرب وجدت نقوش جنائزية و نذرية التي تذكر عبارة "**S'kn'n**" و هو خليط بين اللغة الفينيقية و الليبية و ترجمتها تكون "من كنعان" أي صاحب النقيشة ذو أصول كنعانية.

كما تتفق الدراسات الأكاديمية أن " الفينيقيون" كنعانيو الأصل، لكن اختلطوا لاحقا بإثنيات تتالت على هذه المنطقة المطلة على البحر المتوسط، فكانت البداية بتأثير سومري، عموري، حثي، هكسوسي، إلى أنَّ المنطقة ستشهد تطورات مهمة جدا على شكل وثبة حضارية خلال القرن الثالث عشر قبل جراء هجرات شعوب البحر (بحر إيجه) من أخيين ثم دوريين و ما تفرع منهم لاحقا، إذ حملوا عناصر جديدة تنوعت بين الإثنية و التقنية و الثقافية، هذا التأثير واضح من خلال الدراسات الأثرية و التاريخية التي خلصت إلى اختلاف بين المدن الكنعانية القديمة مثل أوغاريت التي لم تمسها تأثيرات الثقافة القادمة من البحر مقارنةً بالمدن الساحلية على غرار صور، صيدا، بل أن هذا الاحتكاك أوجد أشهر تسمية لهؤلاء الكنعانيين تحت مسمى "**Phoinikes**" الذي ارتبط باللون (الأرجواني) المستخرج من صدفالموريكس * (Murex) و الذي تخصص فيه سكان الساحل الفينيقي، حيث ذكروا في أشعار هوميروس ومؤلفات هيرودوت.

عُرف "الفينيقيون" الأوائل بالمزارعين المحترفين، لكن ضيق المساحات الزراعية أدى بهم إلى ابتكار نشاط بديل يوفر لهم مداخيل أكبر، فرأوا في التجارة البديل الأنسب و ذلك لعدة اعتبارات في مقدمتها الموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي جعلهم حلقة وصل بين ثلاث قارات و بين الشرق و الغرب بالإضافة إلى امتلاكهم ثروة خشبية و بجودة عالية، يُضاف إليها إطلالتهم علي البحر المتوسط و خصوصا الحوض الشرقي منه الذي سمح لهم بالتعامل مع شعوب البحر حيث كانوا على اتصال مباشر مع الكريتيين و الميسينيون (الميكينيون)، حيث سوقوا بضائعهم القادمة من الشرق الأمر الذي سمح لهم للاستعلام عن بعض مناطق بحر إيجه (**Mer Egée**).

* هناك تضارب في معنى الكلمة للمزيد راجع: محمد فنطر، الفرق بين الفينيقيين والبونيقيين.

محاضرات الأستاذ خالد محفوظ

أ- دو افع توجه الفينيقيين نحو الحوض الغربي للحوض المتوسط:

اهتم الفينيقيون بالملاحة باكرا لعدة اعتبارات، فبغض النظر عن الهدف الظاهري المتمثل في التجارة، حيث شكل الطريق البحري و لوقت طويل الطريق الأفضل من البري الذي كان أكثر عرضة لقطاع الطرق، فتقدم الفينيقيون في التجارة بعدما ضمنوا الوساطة التجارية بين الشرق و الغرب فبسطوا تجارتهم في الحوض الغربي للمتوسط، حيث بدأوا يستكشفون و يؤسسون مراكز تجارية على ضفاف المتوسط و كانت البداية مع جزيرة قبرص ثم تقدموا نحو الغرب من خلال شمال إفريقيا ثم جنوب أوروبا، و ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد نسج الفينيقيون شبكة من الطرقات البحرية التي كانت تربط العاصمة صور بمراكزها التجارية و مستوطناتها في ضفاف و جزر الحوض المتوسط، و لعل أقدم مستوطناتها هي تلك التي وُجدت في شمال إفريقيا حيث ذكرت المصادر الي تأسيس كل من مستوطنتي ليكسوس (Lixus) في المغرب و قادس (Gadès) في اسبانيا عام 1110 ق.م للوصول إلى جزر الكاستيريد و الكورونويل (جنوب بريطانيا)، ثم أوتيكا(Utique) عام 1101 ق.م و أخيرا قرطاج عام 814 ق.م

ب- تأسيس قرطاج و بداية بروز مصطلح بونيقي:

حسب رواية المؤرخ الروماني ذو الأصول اليهودية فلافيوس يوسيفوس (Flavius Josefus) فإن قرطاج تأسست على يد مجموعة أرستوقراطية وفدت من صور الفينيقية تحت قيادة الملكة عليسا (عليشات) المعروف محليا باسم ديدون (المرتحلة بالأمازيغية)، فبعد وفاة الملك موتو (**Muto**) أو ماتان ملك صور، أورث العرش ابنيه بيجماليون و عليسا، هذه الأخيرة كانت متزوجة من كبير كهنة معبد ميلكار اسمه عاشرباص الذي كان يملك نفوذ سياسي و مالي، الأمر الذي أثار غيرة بيجماليون الذي اغتاله للاستحواذ على الثروة، الأمر الذي تفطنت له عليسا لتقرر الفرار إلى إحدى المستوطنات في شمال إفريقيا، فمرت بجزيرة قبرص أين أخذت منها ثمانون فتاة ليكنا زوجات للبحارة الذين اصطحبتهم معها من صور.

في حين ذكر الشاعر الروماني فيرجيليوس أن الهروب كان بداعي حالة اللأمن الذي كانت تعاني منه فينيقيا جراء الضغط الأشوري من الشرق و الحيثي من الشمال و المصري من الجنوب، و في ظل هذ التضارب حول أسباب الخروج من فنيقيا، فان الرحلة ستنتهي بشاطئ إفريقي بخليج جنوب مستوطنة أوتيكا عام 814 ق.م، حيث عقدوا اتفاق مع السكان المحليين ممثلين في الزعيم "الملك" ياراباس (هيرباص) من قبيلة الماكيستاني، الذي منحهم قطعة أرض مقابل ضريبة سنوية، حيث اتفق الطرفين على قطعة أرض بمقدار جلد ثور، و بفضل دهاء هذه الملكة التي قطعت هذا الجلد إلى خيوط رقيقة ربطت الواحدة للأخرة لتشكل اقليم قرط – حدشت (المدينة الحديثة أو الجديدة) أو قرطاج بعد تحورها بالإغريقية و اللاتينية، المساحة التي قدرها المختصون بحوالي أربع كيلومترات مربعة.

من خلال هذه الإشارات العامة، نستنتج أن استعمال مصطلح فينيقي كان تقليدا أجنبيا، أطلقه الإغريق على هؤلاء تحت مسمى "**Phoinikes**" الذي ارتبط بلون (الأرجواني) الذي تخصص فيه سكان

محاضرات الأستاذ خالد محفوظ

الساحل الفينيقي، ليتداوله اللاتين لفترة تحت مسمى "**phoenices**" ليشتق منها مصطلح بويني (**Poeni**) ثم يبرز تحت نطق بونيقي "**Punicus**" الذي تداوله الرومان، لكن الجديد في هذه التسمية حسب المختصين هو أن المقصود بهذا المصطلح؛ الفينيقيون في الغرب - أي القرطاجيون- ذلك بعد امتزاجهم مع شعوب الحوض الغربي و ثقافاتهم، هذا الامتزاج الذي يجمع عليه المختصون أنه بدأ في التبلور خلال النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد، الفترة التي سقطت فيها المظاهر الفينيقية الشرقية عند فينيقي الغرب.

بالعودة إلى شهادة القديس أوغسطينوس، نستخلص بعض الحقائق التاريخية و نطرح بعض الاستفسارات التي نعرضها فيما يلي:

- الالتحام مع العنصر المحلي الأمازيغي المعروف أكاديميا باسم "الليبيون" و ذلك في كثير من المجالات كما سبق و ذكرناه، مثل ظهور لغة وكتابة أطلق عليها بالبونية الجديدة.
- استمرار الوجودي البونيقي ماديا و معنويا إلى غاية القرن الرابع رغم ما تعرض له من تدمير و طمس.
- تأكيد محدودية واستثنائية استعمال مصطلح ليبو-فينيقي جغرافيا كما ذكره الطبيعي بلينوس الأكبر، فالمنطقة الريفية التي ذكرها أوغسطينوس (ضواحي عنابة) تعتبر نقطة التماس بين الطرفين القرطاجي و الليبي.

محاضرات الأستاذ خالد محفوظ